محاضرات مقياس الاستشراق

الأستاذة نعيمة رحماني

السنة 2 انثروبولوجيا

المحاضرة08

المنهج الاستشراقي – بعض النماذج–

(المنهج التاريخي)

لا يمكننا في هذا المقام جمع كلّ الأعمال الاسشتراقيّة في سلّة واحدة، ولا ننكر ولا نجحد جهود المستشرقين، لكنّ بعض أعمالهم لم ترق إلى المنهج العلمي الصّحيح؛ حيث قال في هذا الصّدد الأب المسيحي **أنستاس ماري الكرملي**Anastas Mari Al-Karmali (1866م–1947م): "إنّ علم المستشرقين عرضة للنّقد والتّحقيق...ولابدّ أن يُنتقدوا الانتقاد الصّحيح ليظهر الغثاء وينبذ، ويبلغ إلى صميم الحقّ فينبع، ولقد وجدنا هفوات لا تغتفر لهؤلاء المستشرقين من جميع الأمم وفي جميع التصانيف..."[1]

نباشر مع **المنهج التّاريخي** الّذي يردّ الظّواهر الفكريّة إلى أصولها الأوّلى، من خلال جمع المعلومات والمعارف، ثم ترتيب الوقائع التاريخيّة والاجتماعيّة وتبويبها، وأخيرا الإخبار عنها والتّعريف بها.[2]

مع الاستناد إلى عناصر التّاريخ الثلاثة وهي؛ الشّخصية، البيئة، والزمان.[3] ولكن كيف تمّ استغلال هذا المنهج العلمي ليصبح أداة إيديولوجيّة تخدم مصالح النّسق الاستعماري؟

---

[1] رائد أمير عبد الله، مرجع سابق، ص20.

[2] محمّد قدور تاج، مرجع سابق، ص 175.

[3] الحسن بوتنبيا، القراءة الأدبيّة للقرآن في ضوء المنهج التّاريخيّ، المطبعة الورقيّة الوطنيّة، مرّاكش، 2010م، ص97.

نشير في هذا المقام إلى أنّ منهجيّة فريق من المستشرقين قد تجسّدت في تطبيق المنهج التّاريخي على أحداث التّاريخ الإسلاميّ من خلال التركيّز على جزئيّة إرجاع الظّواهر الفكريّة إلى أصولها الأوّلى، فكانوا ينطلقون من فكرة مؤمنين بها قبل أن يتحرّوا صحّتها، كما وكانوا يستندون إلى أيّ دليل يصبّ في قالب فكرتهم حتى وإن كان ضعيفا ولا يؤخذ به عند المسلمين؛ وخير مثال على ذلك المستشرق الألماني **كارل بروكلّمان Carl Brockelmann** (1868م-1956م) الّذي طبّق المنهج التّاريخي على الإسلام وتتبّع تاريخ نشأته وتطوّره وخلص في الأخير إلى نتيجة انطلق أصلا منها وأثبتها بأيّ وسيلة مفادها؛ أنّ الإسلام ما هو إلاّ تطوّر لعبادات وثنيّة قديمة.[4]

وفيما يتعلّق بالقرآن الكريم؛ النّقطة الأساس الّتي ركزت عليها منهجيّة المستشرقين، فقد ذكر الباحث إبراهيم عوض على لسان المستشرق الدّانماركي **فرانس بوهل Frantz Buhl** (1850م-1932م) أنّه لا يوجد في سورة الفاتحة أيّ شيء إسلاميّ خاصّ بل فيها ألفاظ يهوديّة ونصرانيّة، ولم يعلّل ما جاء به بل أغفله وانتقل إلى سرد موضوع آخر.[5]

هكذا كان أسلوب جلّ المستشرقين؛ عرض سطحيّ للأفكار فقط دون استقصاء الحقيقة أو التقصّي عنها. وبعد فترة من تداول تلك النّتائج يُعاد استنساخها كنوع من الرّواسب الثقافيّة الّتي يؤمنون بها ولا يتخلّون عنها؛ حيث ذهب المؤرّخ اليهودي المعاصر **شلومو دوف جويثين Shelmo Dov Goiten** (1900م-1985م) إلى المحصّلة نفسها مجزما أنّ "الإسلام من صميم لحم وعضم اليهوديّة."[6]

وبناء عليه أطبق جلّ المستشرقين كلّمتهم على أنّ مصدر الدّين الإسلاميّ والقرآن هو اليهوديّة، أما المسيحيّة فلم يهتمّوا بها كثيرا على أساس أنّها مبادئ أخلاقية. أمّا الفريق الثّاني فقد اعتمد

---

[4] إقبال بن عبد الرّحمن، الوحي القرآنيّ بين المفسّرين والمستشرقين، دراسة تحليليّة، دار دجلة، الأردن، 2011م، ص 165.

[5] إبراهيم عوض، مرجع سابق، ص 16.

[6] محمّد عبد الله الشرقاوي، ص 20.

منهجيّة تركّز على عناصر التّاريخ الثّلاثة؛ الشّخصيّة، البيئة، والزّمان، ابتغاء تفسير الأفكار والأحداث من خلال سياقاتها وتأويلها مع ما يتوافق مع تلك العناصر.[7]

وهكذا اجتهد المستشرقون في إثبات أنّ بيئة الرسول ﷺ قد أثّرت في إنتاج أفكار ذاتيّة وشخصيّة تقبل تفسيرات مختلفة. كما وركّز المستشرق الفرنسيّ **شارل أوغستان سانت بوف** **Charles Augustin Sainte- Beuve**(1804م–1869م) على شخصيته الرسول ﷺ كأديب صاحب نصّ (القرآن)، مبيّنا أنّ النصّ تعبير عن مزاج فردي، ودعا إلى دراسة حياة الكاتب دراسة تفصيليّة وسمّاه "وعاء الكاتب".[8] وخلص جلّ المستشرقين إلى أنّ أفكار القرآن الكريم ما هي إلاّ إفراز منطقي للآراء المتداولة في بيئة الشخصيّة محطّ الدّراسة وهي من نصعها.

[7] الحسن بو تنبيا، مرجع سابق، ص97.

[8] يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبيّ، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2007م، ص16.